السلوك العدواني عند الطفل

د. رومان محمد
أستاذ محاضر بجامعة وهران

إن العدوان قديم قدم الإنسان على القشرة الأرضية، وخير دليل يضرب في الميدان ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز "وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء، ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك" (1)

وقد سجّل الله في كتابه أوّل عدوان ارتكبه الإنسان في هذه الأرض نتيجة للغيرة والحسد والكراهية، وهي واقعة قابيل وأخيه الذين قتل أحدهما الآخر ظلما وعدوانا، ويقول الله تعالى في حق هذا "واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق، إذا قربنا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك، قال إنّما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت إلي يدك لتقتلني، ما أنا بباسط يدي لأقتلك، إني أخاف الله ربّ العالمين إنّي أريد أن تبوؤ بإثمي وإثمك، فتكون من أصحاب النّار، وذلك جزاء الظالمين، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله، فأصبح من الخاسرين" (2).

ونستشف من نبأ ابني آدم أن العدوان كان موجودا، وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإذا تصفحنا أي جريدة من الجرائد اليومية في أي بلد من بلدان العالم لوجدنا أنه في كل ثانية وأخرى يعتدي إنسان على إنسان، فذاك يسلب ماله بالإكراه أو عن غفلة، آخر تنتهك حرمة بيته، ويغصب شرفه، وتجرح كرامته أو تخان أمانته أو يحتال عليه باللعب، أو يعتدى عليه بالضرب وبالجرح وبالإيذاء بكل أنواعه.

وقد اعتبر العدوان عملا مألوفا من أعمال الحياة قرونا طويلة، لقد قتل الإنسان أخاه الإنسان لأكثر من سبب، فقتله في المصارعة من أجل التسلية والمتعة، وقتل الشيوخ والعجزة من ذويهم لعدم جدواهم، وقتل المرضى وذوي العاهات دفاعا لمكروه قد يلحق بسببهم، وقتل الأولاد خشية أملاق، ويربطون الحوامل كسبا لرهان يتحدد بجنس الجنين الموجود ببطونهم، وقتل الإنسان نفسه بالانتحار ولأكثر من سبب، وبارز في سبيل القتل فقتل رغبة في الثأر أو المجد أو حماية لكلمة أو دفاعا عن الشرف، العدوان جزءا من الحياة سنينا طويلة.

وبدأت المجتمعات الإنسانية يوما بعد يوم تحرم أفعالا وتبيح أخرى، وصار الفعل المحرم جريمة وسمي فاعله مجرما، ولبست الجريمة ثوب المقدسات والمحرمات والسحر والشياطين، وبدأ حجم الجريمة يزداد مع الزمن والعقوبة تزداد معه باتجاه طردي، وأصبح يفهم من اصطلاح العدوان هو جميع الأفعال التي فيها تعدي على الكليات الخمس وهي: النفس، المال، والعرض والعقل والدين. (3)

المقصود بالعدوان هو الفعل الذي يقوم به الفرد قصد إلحاق الضرر بالآخرين، أما عند الحيوان فهو ذلك السلوك الذي يشعر به حيوان من حيوان آخر بالخوف والهبة، ففي هذه الحالة يستخدم العنف والقدرة والهجوم من أجل إلحاق الضرر بغيره، بينما الإنسان يسعى في سلوكه العدواني إلى محاولة تدمير الغير نفسه أو ممتلكاته، ويؤكد هذا القول تورد هيرلوك، حيث يقول أن العدوان عمل عدائي تهديدي موجه عادة ضد شخص أو أشخاص آخرين. (4)

أما موسن فيقول فيه بأنه النزعة للتخريب والتدمير وإيذاء الآخرين، وهو ناتج "أي العدوان" عن حقد الشخص وغضبه وكراهيته وهو تعبير من تعابير السيطرة التي يمارسها الفرد.(5) أما رفاعي فيعرّفه بأنه نزعة الفرد إلى التخريب أو إيقاع الأذى بالآخرين، وهي نزعة تصحب عادة بعواطف الغضب، الكراهية.(6) أما جون كونج فيقول في مفهوم العدوان بأنه الرغبة في إلحاق الأذى أو الجروح أو التدمير أو الإيذاء أو أي شيء آخر. (7).

مفهوم السلوك العدواني:

السلوك العدواني هو ذلك السلوك الذي يستهدف إلحاق الأذى بالآخرين، أو تسبب القلق لديهم وخاصة عند الأطفال ما قبل المدرسة، حيث يتم الضرب والتدمير للمتلكات والهجوم اللفظي ومقاومة ما يملى عليه من أوامر من طرف الآخرين، ويميل الطفل إلى أن يكون عدوانيا صريحا يتوقف على العوامل التالية:

- رغبته في إيذاء وإيلام الآخرين.
- مستوى الإحباطات البيئية وأثرها على الميول العدوانية.
- مقدار القلق والشعور بالإثم المرتبط بالعدوان.

وعلى هذا الأساس فإن الطفل في غالب الأحيان يكن العدوان الصريح في الظروف التي يصبح الخوف والقلق مرتبطين فيها بالاستجابات العدوانية.(8)

وترجع بعض النظريات السلوك العدواني إلى شعور الفرد بالإحباط والفشل في سبيل تحقيق رغباته، وبذلك يعتبر السلوك العدواني ناتج عن عملية الإحباط أو هو تعبير عن إرادة القوة. (9).

أما سيموند فرويد فيقول في مفهوم السلوك العدواني على أنه سلوك واع وشعوري ناتج عن غريزة الموت وهذه الغريزة هي المسؤولة عن السلوك العدواني في إلقاء الأذى بالآخرين.

وهناك مظهران للعدوان:

المظهر الأول: وهو الغضب والانفعال الشديد الذي يوجه مباشرة إلى الشخص الذي سبب الإحباط والفشل من أجل الوصول إلى الشيء المرغوب فيه.

المظهر الثاني: وهو محاولة إلحاق الضرر بالآخرين أو العدوان المستبدل أو التعويض وهو ما يوجه بطريقة غير مباشرة إلى الشخص لا علاقة له بالموضوع المحيط به، حيث يوجه الفرد غضبه ضد

شخص لم يتسبب في ذلك الإحباط.(10) وخاصة عندما يكون مصدر الإحباط قويا وآت من إنسان مقدر ومحترم مثل الب أو المشرف المباشر في العمل، ففي هذه الحالة نجد الفرد المحبط يرد إحباطه بطريقة عدوانية في أناس ليس لهم أي علاقة بموضوع الإحباط كالزوجة والأولاد، العمّال المشرف عليهم...الخ، وقد يظهر العدوان بطريقة أخرى حيث يحمل الفرد الآخرين قبول اهتماماته وهمومه واتجاهاته وأفكاره رغم معارضتهم له، ويعرف هذا العدوان بالعدوان بقوله أنه يعني الهجوم على الآخرين وهو ما يرجع في الغالب إلى المعارضة، أما نظرية التحليل النفسي فتعلل هذا العدوان بممارسة لإرادة القوة فوق الناس الآخرين. (11)

أما **فليب هاريمان** فيعتبر السلوك العدواني هو تعويض عن الإحباط المستمر أما العدوان فهو السلوك الذي يقصد به إيذاء شخص آخر أو جرحه، ويعتبر هاريمان أن قوة العدوان تتماشى وقوة الإحباط، كلما زاد إحباط الفرد كلما زاد عدوانية وقد يتخذ مفهوم العدوان عدة أساليب، فقد يكون ضد المجتمع كما هو الحال لدى الشخصيات السيكوباتية أو لدى الجانحين الذين يأخذون متاع الغير بدون إحساس بالذنب أو الشعور بالدونية.

وقد يكون ضد أفراد من المجتمع بدون حق سابق كأشخاص يصادفون في الأماكن الخالية فيتم الانتقام منهم ويكونون بذلك كبش الفدا. وقد يوجه العدوان ضد الشخص أو أشخاص مسؤولين حقيقة عن شعور الإحباط. الأفراد الذين يسلكون هذه المسالك الانفعالية القصد منها إيجاد مخارج لبعث العداوة المحبوسة وإطفاء المشاعر السلبية.

أما **هلقار** فيعتبر العدوان نشاط هدام يقوم به الفرد قصد إلحاق الأذى بالأشخاص الآخرين سواء كان هذا الأذى جرح جسماني أو سلوك متميز بالسخرية والاستهزاء. ويقول أنطواني ستور بأن العدوان سمة طبيعية في الإنسان. لأن الإنسان أكثر الأجناس تدميرا لبني جنسه وهو أشدها حبا لممارسة القوة والعنف في هذه الدنيا وهو يسعى دائما في معاملته إلى إتباع الأساليب الوحشية والهمجية. فنحن الإنسان أشد قساوة من أي مخلوق موجود على هذه الأرض وأكثرها خشونة وغلظة رغم أننا نفزع عندما نقرأ في الصحف والمجلات ونسمع في الإذاعة ونرى ونشاهد في التلفاز أخبار كانت نتيجة لأعمال العنف والتدمير والوحشية والمجازر المحدثة يوميا من طرف بني الإنسان في ربوع العالم.

وعلى هذا الأساس فبقول أنطواني ستور أن كل إنسان يحمل في طياته بواعث الوحشية التي تدفعه إلى سفك والتعدي على حرمات الغير وهذه السفك الدوافع أو بواعث الوحشية التي فندها أنطواني ستور تكتسي نوعا من المبالغة فيها. لماذا لأن الإنسان لا يتصف بهذه المواصفات التي ألصقها أنطواني ستور للإنسان، بل يوجد في هذا الكون من بين الإنسان من يتصف بهذه السلوكات السلبية المضادة للمجتمع، ويوجد من بين الإنسان من يتصف بالسلوكات الإيجابية وفي كل مجتمع من المجتمعات الدنيا يوجد أفراد يتصفون بمظاهر العطف والحنان ويتفانون من أجل إسعاد غيرهم من بني البشر. حيث يقول الرسول–

صلى الله عليه وسلم– "لا ينقطع الخير من أمتي إلى يوم الدين" (12). والحقيقة أن الإنسان يولد وهو يحمل خليطا من النزعات الخيرية والعدوانية ويعمل الوسط الاجتماعي الذي يوجد فيه الفرد من إظهار جانب وصقله وإخفاء الآخر.

وعلى هذا فإننا نجد كلمة عدوان تأخذ عدة معان لحد الآن لم يتفق العلماء على معنى شامل وجامع ومانع –فنجد المختصين في علم النفس والعقلي يطلقون كلمة عدوان على كثير من السلوك الإنساني. فالطفل الذي يبكي ويثور بيديه ورجليه ساعيا وراء مبتغاه يسمى طفل عدواني. والعادل الذي يحكم على متهم بالسجن أو بالعقوبة المادية جزاءا لعملية غير اجتماعية يسمى حاكم عدواني، وعندما يثور جمهور في ملعب من ملاعبنا الوطنية ضد قرار الحكم المخالف لنظام اللعبة يسمى هذا الجمهور جمهور عدواني ...الخ فالطفل عندما يتمرد على سلطة الأبوين أو المعلم، فإننا نصفه بالعدوانية ولكنه هو في الحقيقة يعبر عن باعث قوي نحو الاستقلالية التي هي أساس في تكوين الشخصية. فالاختراع الحربي عمل هدفه عدواني من جهة ولكنه ردع للعدوانيين من جهة أخرى وأن مثل هذا العمل ليس فقط للحماية من الهجوم الخارجي ولكنه منبثق كل الإنجازات العقلية. كما هو أساس الاحترام والاعتزاز وهو الذي يجعل الإنسان مرفوع الرأس محترم ومقدر بين الأمم والشعوب. وعلى هذا الأساس فإنه عند تحديد معنى العدوان، لا نستطيع أن نفصل بحق وحقيقة بين الأفعال التي نقبلها ولا يمكن أن نعيش بدونها وبين تلك الأفعال التي نستنكرها ولا نقبلها في حياتنا اليومية.

سيكولوجية العدوان عند الطفل

يتفق العلماء في تحديد مفهوم السلوك العدواني، هو ذلك السلوك الغير متلائم مع الوسط المتواجد فيه والملاحظ هو أن الأطفال الذين يتصفون بالنزعات العدوانية والاعتزال والانطواء وعدم المرونة، وهو نتيجة لفشلهم في تنمية ضوابط داخلية تساعدهم على التكيف والتلاؤم مع الوسط المتواجدين فيه، فسوء تكيف الصغير يستدعيه إلى استخدام واستعمال أي شيء في متناول يديه قصد ردع المثيرات غير السارة، أو عبر المرغوب فيها بطريقة البكاء، والتكسير والتقطيع والهجوم الفيزيقي كاستعمال الأظافر والأنياب والركل والسب والتعبير. ونلاحظ أن الصغير لا يستعمل الوسائل الرمزية المقنعة أو الأساليب العقلية التفهيمية المجردة، ولكن بتقدمه في سلم العمر الزمني نجده يرتفع إلى الضوابط الداخلية، فتظهر عنده قبول الضوابط الاجتماعية واحترام الغير والإحساس بحقوقهم وممتلكاتهم. وقد يعمل التقارب والتفاؤل الاجتماعي عند صغار الأطفال بالعدوان. فتظهر العداوة والتعارك والتشابك والتشاجر فيما بينهم نتيجة لحاجة في نفس يعقوب. وقد يلعب بعض الآباء في تنمية هذا النوع من العدوان بالثناء بعد التغلب والتعبير بعد الهزيمة.

وتغرس أفكار أو توجيهات الأب هذه أبعاد في المستقبل لدى الطفل فيما يخص موضوع العدوان، وقد لا يشجع الآباء أطفالهم على السلوكات العدوانية ولكن الطفل يكتسب بعض السلوكات العدوانية من

مجتمعه حيث يقتنع الطفل أن السلوك العدواني شيء أساسي في تسلق سلم النجاح في المجتمع الحر، فيتعلم الطفل من المجتمع. إن الفرد الذي يتصف بالشدة والطموح وتأكيد الذات يحوز على نجاح أكبر من نده الذي يتصف بالهدوء والتأمل المنطوي. ويلاحظ الطفل أثناء تسلقه سلم العمر الزمني أن المجتمع يحبذ النزعات العدوانية ويوافق عليها، وإذا كانت مستمرة ويستنكرها إذا كانت بدائية وفيزيقية.

الطفل والعائلة

إن تدليل الطفل من طرف العائلة حق من حقوقها، ولكن أن يصل التدليل إلى مرحلة الإفساد فهذا خطأ تربوي وعلى الوالدين تجنب هذه العملية، والفصل بين تدليل الطفل، وبين إفساده، فقد لا يبدو واضحا لأعيننا كآباء وأمهات ولمن نحن في الحقيقة نغرس في الطفل سلوكات غير مجيدة اجتماعيا ولم تكن في الحسبان أيام كنا نزرع الحب والحنان، رغم أن لكل عائلة أسلوبا تربويا خاصة في التعامل مع أبنائها.

فبعض العائلات تستعمل مع أبنائها أساليب تربوية سهلة كالتسامح والمبالغة في التدليل والتعاطف. وبعض الآخر يتبع أسلوبا يتسم بالشدة والحزم وبدون جدوى. وما من شك في أن الأسلوبين يكمل كل منهما الآخر، بمعنى أنه التدليل لابد من بعض الشدة، ومع الشدة فلابد من شيء من التدليل والمرونة طبقا لقول أسلافنا "الشيء إن زاد عن حده ينقلب إلى ضده" فإن آثار أحد الأسلوبين التربويين السابقين الذكر تظهر في أسلوب تصرفي لم تضعه في الحسبان من طرف أطفالنا وهنا يقول الدكتور حسين عبد العزيز يعيش الطفل عادة في بيته وكل ما فيه ملك الكبار، فليس له ما يشعر بملكيته له.(13)

وهنا يلتبس على الطفل الأمر، فلا يعرف إن كانت هذه اللعبة حملة له أو ملكا لأخيه الأصغر منه أو الأكبر منه. فالطفل ينمو ومعه غريزة التملك فنجد الطفل في غالب الأحيان أنه في نهاية العام من عمره أنه يحب التملك وما على الأبوين إلا أن يشجعا ذلك الشعور عند ظهوره حتى نستطيع أن ننمي في الطفل ونكون فيه عملية التميز بين ما يملكه وما لا يملكه فحسن نية الأبوين عند شرائهما للعبة ما من اللعب، دون تعيين لصاحبها، يظنون أن هذه الطريقة غير المميزة هي أحسن وسيلة، لتعليم الطفل التعاون وحب الغير، لابد من الأنانية، ولكنهم في الحقيقة هم بذلك العمل يرتكبون خطأ عظيما، حيث أن الطفل الذي لم يتعود منذ طفولته على التميز بين ممتلكاته وممتلكات الغير، فقد يصعب عليه ذلك في الكبر، بل قد يصبح كثير الحيل إلى الاعتداء على ممتلكات الغير هذه الاعتداءات التي قد ينال من ورائها جزاءات عقابية من طرف العائلة والمجتمع وهناك العديد من الدراسات التي تناولت علاقة الطفل بأبويه. وأكدت على وجود رابطة وثيقة بين سلوك الطفل العدواني وبين عقاب الأب، فنلاحظ أن الطفل عندما يقوم بسلوك عدواني كاعتدائه على ممتلكات غيره فإنه يشعر بالرضا والراحة الكاملة. ولكنه عندما ينال العقاب جزاءا لفعلته المفتعلة فإنه يشعر بالإحباط، هذا الإحباط الذي يزيد من دافعيته العدوانية ضد غيره فإن هذا النوع من الأطفال الذي أصبح العدوان سبيله الوحيد، نظرا لأخطاء ارتكبت في تربيته من طرف أبويه

وعلاجهم لهذه الأخطاء التربوية بالعقاب الجسدي أو الجزاء لا يمنع الطفل من اقتراف السلوك العدواني أثناء يومية.

وقد دلت الدراسات التي تناولت الأطفال الجانحين على أن عدوان الطفل له علاقة بالنزعات العدوانية لإحدى الأبوين في نبذ أو طرد الطفل نفسيا أو انفعاليا أما فيما يخص موضوع الاقتداء وماله من أثر على سلوك الطفل العدواني فقد بينت الدراسات أن من طبيعة الطفل أن يأخذ سلوك شخص في العائلة ليقتدي به، ويتبنى مبادئه ويقلد سلوكه. وفي الغالب إننا نجد الكبار عنوانا بالنسبة للطفل، فإذا كان سلوكه عدوانيا، فهذا النوع من السلوك يؤثر على الطفل، ويصبح الطفل يتصف بالسلوك العدواني. وقد دلت التجارب التي أجريت على الأطفال قبل المدرسة فيما يخص موضوع السلوك العدواني عند الطفل وكانت النتائج التي توصلت إليها هذه التجارب، أنه عندما يقلد الأطفال المجرب الذي اتخذه مثالا أعلى لإتباع سلوكه، وكان هذا المجرب يمثل سلوكا عدوانيا، أنتج سلوكا عدوانيا عند الأطفال المجرب عليهم أكثر من دوره في امتثال للسلوك الغير عدواني. وقد أظهرت التجارب أن الذكور أكثر عدوانية من الإناث بعد تعرضهم لمثال عدواني، كما توصلت هذه التجارب إلى وجود علاقة ارتباطية بين عدوانية الأب وعدوانية أبنائه وما يعزز هذا أنه وجدت نسبة كبيرة من المنحرفين أنهم ينحدرون من آباء عدوانيين. كما توصلت بعض الدراسات على الأطفال أن الأب له تأثير أكبر على عدوانية الطفل من الأم، وتعزيزا لهذه النتيجة فقد وجد أن الأطفال الذين يتغيبون عن المنزل ولا يأتون إليه إلا في مرات قليلة، فإن هؤلاء الأطفال يظهرون عدوانية أقل من الأطفال الذين يعاشرون آبائهم باستمرار. كما وجد أن الذين ينتمون إلى أسر الطبقة الاجتماعية السفلى أكثر عدوانية من الأطفال الذين ينتمون إلى أسر الطبقة المتوسطة ورغم التركيز على الآباء كمثال للأبناء فإن الملاحظة التي نستنتجها من حياتنا اليومية هو أنه كلما زاد إظهاره وتمسكه بتلك السلوكات العدوانية.

وقد توصلت دراسة أخرى أن السلوك العدواني يزداد عند الطفل كلما ازداد التسامح معه حين اقترافه أفعال إيذاء تستحق العقاب وبذلك يقل شعور الطفل بالذنب قمعه وردعه عن السلوك العدواني، ويعتبر هذا العمل من طرف الأبوين مرأ لعنان الطفل في العدوانية، هذا المدى الذي ستكون له نتائج وخيمة على حياة الطفل مستقبلا من جهة وعلى إيذاء أفراد المجتمع من جهة أخرى. كما لوحظ أن الجو الديمقراطي السائد في العائلة له تأثير على عدوانية الطفل، فالآباء الديمقراطيين يسمحون لأبنائهم بمزيد من المظاهر الحرية والنشاط لدى الطفل. وهذا بدوره يدعوا إلى بعض التصرفات غير مقبولة اجتماعيا. كما لوحظ أيضا عن وجود علاقة بين نزعة الأم للإحباط ونزعتها نحو التسامح مع الطفل أثناء قيامه بسلوك عدواني.

كما دلت دراسات أخرى، عن وجود علاقة بين العدوان والانبساط في الشخصية حيث أن الشخص المنطوي. (14)

الوقاية والعلاج للسلوك العدواني

يقول الإمام أحمد بن تيمية "شرع الله عقوبة الحدود رحمة منه بالعباد، وإصلاحا لهم في الدنيا والآخرة، وينبغي على القضاة والمشرعين وأولي الأمر في المجتمع تطبيقها وأن لا تأخذهم رأفة في دين الله فيعطونها كالوالدين هو كف عن التأديب الوالد إنما يؤدبه رحمة وإصلاحا" (15)

ونلخص من قول الإمام بن تيمية إلى أهمية الطرق العلاجية التي نستشفها من الدراسات الميدانية التالية:

– ففي دراسة قام بها محمد عماد الدين في 1967 (16)على عينة متكونة من 965 حالة موزعة على قرى ومدن مصر، وأظهر من خلال هذه الدراسة ما يلي:

– توجد هناك فروق طبيعية في وسائل منع العدوان أو ضبطه، فقد اتضح أن الوسيلة المميزة للطبقة الوسطى هو النصح والإرشاد اللفظي. أما في حالة المقارنة بين الطبقتين فإن الدلالة الإحصائية عالية جدا والفرق موجود سواء في حالة ما إذا كان العدوان بين الإخوة أو بين الآباء أو مع غيرهم في الخارج.

* وفي دراسة أخرى على عينة تتألف من 159 عائلة تمثل فيها المستوى الاقتصادي والاجتماعي، والثقافي والريفي، والحضري، وقد توصلت هذه الدراسة إلى:

– إن الوالدين في الأسرة الفقيرة أكثر قساوة وأكثر استعمالا للعقوبات البدنية من الأسر الغنية حيث تستعمل هذه الأخيرة في كنفها للعدوان أساليب لينة ومعدلة في غالب الأحيان. (16)

كما وجد الباحث أنه كلما زاد المستوى الثقافي للوالدين ازداد استعمال الأسلوب التربوي اللين مع أبنائهم في كف العدوان. أما الوالدين الأمّيان فقليلا ما يخضعوا إلى إتباع الأساليب التربوية اللينة مع أطفالهم إلا في حالات نادرة كفردية الطفل في العائلة وغالبا ما يلجؤوا إلى العقوبات الجسدية عندما يزيد أطفالهم عن الواحد.

كما أثبتت هذه الدراسة أنه كلما كان الوضع الاجتماعي للعائلة متدهورا زاد استعمال الأساليب القاسية في كف عدوان أبنائهم والعكس صحيح.

أما دراسة بروثرو(18) حول تنشئة الأطفال في المجتمع اللبناني فقد بينت أن أمهات الطبقة الفقيرة أكثر ميلا إلى استعمال أساليب العقوبات الجسدية من أمهات الطبقة المتوسطة. أما بالنسبة للأسلوب المتبع لكف العدوان طبقا للديانة المعتنقة من طرف العائلات المتواجدة في منطقة بيروت وسهل البقاع حيث أجريت هذه الدراسة فوجد الدارس أن الأمهات الأرثدوكسيات هن أكثر اعتمادا على أسلوب المناقشة لكن عدوان أطفالهن أثناء اقترافهم لمشكلة تخل بالنظام العام السائد في المجتمع المحلي المتواجدين فيه.

أما الدراسة التي قام بها سيزور وزملائه في الولايات المتحدة الأمريكية 1957 حول موضوع كف العدوان لدى الأطفال أظهرت ما يلي:

– إن أمهات الطبقة العاملة أكثر استعمالا لأساليب العقوبة البدنية وحرمان أطفالهم من الامتيازات وسهلة في كف عدوان أطفالهن.

– كما بينت الدراسة أن أمهات الطبقة المتوسطة يغضن البصر عن السلوك العدواني المقترف من طرف الأطفال وخاصة عندما سيكون ذاك السلوك العدوان موجها إلى الوالدين بالمقارنة مع أمهات الطبقة العاملة. حيث أن أمهات الطبقة المتوسطة يضعن قليل من النواهي والأوامر أثناء كفهنّ لعدوان أطفالهن بالنسبة لأمهات الطبقة العاملة.

* أما نتائج الدراسة التي أجريت في العراق 1972 على عينة متكونة من 165 عائلة تسكن بغداد وأريافها كانت نتائج هذه الدراسة كالتالي:

– إن الأمهات الأميات أكثر تساهلا في كف عدوان أطفالهن من الأمهات المتعلمات، كما أعطت الدراسة أن الأمهات الطبقة الفقيرة والغنية أكثر تساهلا في كف عدوان أطفالهن من الأمهات الغير عاملات أكثر تساهلا في كف عدوان أطفالهن من الأمهات الأميات والأمهات المتعلمات وعلاقة هذا الجانب بدرجة التحصيل المدرسي، بخصوص الأساليب المستعملة في كف عدوان أطفالهن حيث وجد الباحث أن الأمهات الأميات يستعملن أساليب لكف العدوان كالسيطرة والعقاب الجسدي والتوبيخ...الخ بينما الأمهات المتعلمات إلى أساليب تربوية مرنة كالنقاش والتعامل مع أطفالهن بدلا من اللجوء إلى العقاب الجسدي والتوبيخ.

كما فرقت هذه الدراسة بين أمهات الريف وأمهات الحضر في كف عدوان أطفالهن وهذا لكون الأمهات الريفيات أكثر استعمالا لأسلوب السيطرة والعقاب الجسدي والتوبيخ في كف عدوان أطفالهن من الأمهات الحضريات ويعلل الباحث هذا العمل إلى كون الأمهات الريفيات وأمهات الحضريات متعلمات.

وخلاصة ما توصلت إليه الدراسة أن أمهات الطبقة الفقيرة أكثر ميلا إلى أسلوب العقاب الجسدي في كف عدوان أطفالهن من أمهات الطبقة المتوسطة والطبقة العاملة.

ومن الدراسة السابقة نخلص إلى أن تربية وتهذيب وتوجيه الطفل عملية ضرورية لجعل هذا الطفل كائنا متفاعلا مع أبناء مجتمعه يؤمن بالأخذ والعطاء، ويحترم حقوق الغير ويقدر القيم الاجتماعية والمثل العليا السائدة في الوسط الذي يعيش فيه.

هذه التفاعلات الاجتماعية المتبادلة التي تبعده عن الأنانية والذاتية والتحيز والسلوكات الحيوانية الغير مقبولة اجتماعيا، فإذا لم نتعامل بالطرق التربوية السلمية فإننا نبعث في الطفل استعمال السلوك العدواني كسلاح من أجل البقاء. فالتأديب القاسي من طرف الوالدين يدعو إلى الشعور بالخنق والسخط والعداء للمجتمع، حيث نجد في كتاب سيكولوجية الجنوح للدكتور أحمد عبد الرحمن عيسوي في ص87 أن 963 من الأطفال أنهم كانوا تعساء من جراء العقاب البدني، وأن 14% منهم أن العقاب عدل من سلوكهم العدواني.

فالتأديب الأعمى يجعل من الطفل يختزن الكثير من الأشياء بداخله سيوجهها يوم يجد الفرصة سامحة ضد الآخرين في المجتمع، فالطفل المقهر على هذا الأساس فالمطلوب من الأبوين تنمية الوازع الداخلي للطفل ألا وهو الضمير، هذا الضمير الذي يوجه الإنسان في الابتعاد من الظلم للغير. فالإنسان إذا امتلك القوة وكان عنده الوازع الديني والضمير الأخلاقي كبيرا ليتخذه فيما يفيد المجتمع بصفة عامة. حيث يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– "ليس المؤمن بالطعان ولا اللّعان ولا الفاحش ولا البذيء"(19)

ويقول الشيخ محمد الغزالي (ويرقب الإسلام من معتنقه أن يكون ذا ضمير لفظ تصان به حقوق الله محاسبة على آثامة ما ظهر منها وما بطن". (20)

وكذلك يجب على الأبوين السعي في تنشئة النفوس على فعل الخير، على إسداء العون وصنع المعروف، والحث على رعاية اليتيم، ومساعدة العاجز والمسكين لتخفيف ما يعانوه من إحباط وحرمان. كما يجب على الآباء العمل على حسن التربية وتنشئة أبنائهم على فعل الخير، فلا نقسو على أبنائنا، ولا تبالغ في تدليعهم، لأن التدليل والقسوة الزائدة تفسد الأطفال، وتنميان لديهم العداوة وسرعة الغضب، المؤديتان إلى إفساد العلاقة مع أقرانهم وأنفسهم، الواجب هو أن نربيهم على المحبة والتسامح والتعاون مع الغير، ولا نشجعهم على اقتراف السلوكات العدوانية المنافية للأنماط الاجتماعية المتعارف عليها. بل نعاقبهم عن الأفعال الغير مقبولة اجتماعيا عقاب المؤدب المربي في نبذ السلوكات العدوانية وفي ضبط النفس والتسامح مع من أساء لهم عند المقدرة وبهذه الطريقة نستطيع أن نصنع أطفالا متفهمين ومتماشين مع أنماط المجتمع المتواجدين فيه، وبذلك يكونون خير خلف لخير سلف.

الهـوامـــش

1- سورة البقرة، الآية 30.

2- سورة المائدة، الآية 27-30.

3- ويقصد بالكليات الخمس حقوق حفظها الإسلام للإنسان وحرم الاعتداء عليها، فمنع الاعتداء على النفس "بالقتل أو الأذى" والمال "بالسرقة أو الفساد" والعرض "بالزنا أو القذف" والعقل "بالردة عن الإسلام".

4- تورد هيرلوك، أخذ من مقالة السلوك العدواني عبر الثقافات المختلفة. مجلة البصرة العدد3، 1980.

5- موسن- نفس المرجع السابق.

6- نفس المرجع السابق.

7- جون كونجر: سيكولوجية الطفولة والشخصية. ترجمة: د.أحمد عبد العزيز سلامة. دار النهضة المصرية 1970.

8- نفس المرجع السابق.

9- الفرد اولر.

10- سيموند فرويد، أ.أدلر: معنى ذلك هو إسقاط لغريزة الموت.

11- كلفن هال: أصول علم النفس الفرويدي، ترجمة محمد فتحي الشيطي، 1970.

12- حديث شريف.

13- القبس الدولي تاريخ 13-01-1988. ص المنوعات.

14- د. عبد الرحمن عيسوي: سيكولوجية الجنوح، منشأة المعارف بالإسكندرية.

15- بن تيمية أحمد: السياسة الشرعية في إصلاح الرعية، دار الكتاب العربي، بيروت.

16- د.محمد عماد الدين: كيف نربي أطفالنا. التنشئة الاجتماعية في الأسرة العربية، دار النهضة، القاهرة 1974.

17- أنطوان رحمة: أثر معاملة الوالدين في تكوين الشخصية. دراسة ميدانية على المجتمع السوري. رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1965.

18- أ. بروثرو: التنشئة الاجتماعية للطفل. دراسة ميدانية على المجتمع اللبناني، 1961.

19- حديث شريف، رواه الترمذي.

20- الشيخ محمد الغزالي: خلق المسلم، دارالكتاب الحديثة، القاهرة، 1974.